Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كأن عنقودا تثنّى به إذ صار كالعرجون عند السرار
كأنها تسبك ديناره وكفُّها يفتل منه السوار
كأنما الصبح لمشتاقه عزُّ غنىً من بعد ذُلٍّ افتقار
كأنما الشمسُ وقد أشرقتْ وجه أبى عبد الله استنار

واستغنى ابن الخطيب عن تكملة أبيات المدح التالية للبيت الأخير ، لأن هذه تخفل على أية حال بعدد من الصور البلاغية ، وهى مفتعلة ، ومنحوتة ، ولكنها صور فى نهاية والمطاف ، أما التى أعرض عنها فقد خلت حتى من الصناعة ، مجرد نظم لا فن فيه ولا روح ، من مثل قوله :

محمدٌ محمدٌ كاسمهِ شخص له فى كلِّ معنى يُشارْ
اليمْن من يمناه حكم جرى واليسرُ من شيمة تلك اليسار

ويَشغل هذا السخف من القصيدة عشرة أبيات كاملة ، تدور حول مدح الأمير بأنه من لخم وبه تزهو ، وفرع من قيس وإليه تنتمى ، وأنه أجود من البحر ، يدور معه السعد حيث دار ، ويختمها بهذا البيت :

الحافظ الله وأسماؤهُ لذاك الجارِ وذاك الجوار

واختيار ابن الخطيب لما سجل منها ، يومئ إلى أنه فى كتابه « الإحاطة » كان يتذوق ما يدون من شعر ، وليس حاطب ليل يجرى قلمه بأى قصيد تجرى عليه عيناه .

وقصيدة المدح الثالثة ، والأخيرة ، جاءت فى سبعة وعشرين بيتًا ، بدأها بمقدمة غزلية رائقة ، محكمة النظم ، فلا حشو فى ألفاظها ولا زيادة ، جميلة الإيقاع ، فلا نشوز فى موسيقاها ولا اضطراب ، تميل إليها النفس ، وتعلق سريعًا بالذاكرة ، وأعجب بها ابن الخطيب كثيرًا ، وقال عنها إنها ذات نزعة غريبة ، وسبق بها غيره .

ياطلعةَ الشمسِ إلاّ أنه قمرٌ أما هواك فلا يبقى ولا يذرْ
كيف التخلّص من عينيك لى ومتى وفيهما القاتلان : الغنج والحور
وكيف يُسلى فؤاد عن صبابته ولو نهى الناهيان : الشيب والكِبَرْ
أنتَ المنى والمنايا فيك قد جُمعتْ وعندك الحالتان : النفع والضرر